احمد يوسف داود

الذكريات العربية

النشيد الاول :

الجـذور

الاساطير وحدها ، وأنا .
ويبين « الخليـط » : رمـل ...
فرمل ...
ثم عيناك تبسمان ! تكلمنا ...
فماذا يقول عنك الرجال ؟
« غزوة في الرمال ؟! ... لا تدخلي
السبي ؟!...
وآه لو كان دونك سيف ؟!! »
. . . . . .
الاساطير وحدها ، واغترابي !!

* * *

حائر فيك ... صابر ...
لست جذرا
لست طينا ، ولا انتهى ما يقال .
كلما تصنعين نافذة بيضاء ارتد منها
عابرا ، في تحولي ، لغة الرؤيا ..
طعينا ، ملوثا ، مهتاجا
أرسم الريح في جدار من الهم ...
ونارا على سهام القبائل .
ثم عيناك تبسمان !.. وظل ...
يدخل الصمت ، والهوى ، والطلول
فاعذريني ...
فأنت حرية النار والخوف ...
وانت اشتهائي المروع المقتول .

* * *

الاساطير وحدها ، وأنا !
... نقش ثـور يشك قـرنيه فـي
جرحي ...
أعانيه في اختصار مدمر !
تتلاقى دماؤنا ... فاخلعي النعل :
رقصة تملأ السراديب وحشية ..
والنبوءات ظلاما ...
وآخر الضوء موتا ...
ورياح تهل بالمطر النازف ،
قبل انصعاق وجهك يحمر !
وانا واقف على الطلل البالي ...
أفي السبي ترقصين احتلاما ؟
وتهيجين ـ كالتعبد ـ نشوى ؟؟
والعناق المجنون ..؟!
ينتصر اللمس : بنهديك كاهنـان
بدائيان !..
والليل سلم يتكسر .
ثم ما أنت ؟...
لا رماد ولا جمر !..
رصيـف الى مهـاجر من جـوع
معطل ...
وانتظار .
ثم ما أنت ؟ ...
نقتفي عبق الشعر ..
تلوحين في ظلام عتيق
والاساطير : حربة النحر !...
ترمينا الى عالم الرمال صفارا
كلما بان في الرحيل خليط القوم،طار
البكاء حول « الاثافي » !
ثم ما أنت ؟..
تملئين رياح الفصل جوعا
وساعد النار جوعا :
« تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار »
ثم ما أنت ؟...
آخر الجزع ؟...
توليفة من الهوى والطلول ؟؟
فاعذريني ...
فأنت ترنيمة الصمت والخوف...
وأنت اشتهائي المروع المقتول .

* * *

ها أنا .. والاساطير ..
مستفرقـا فـي تـواريخـك
الصغيرة ...
وحشيا .. ادير كأسا ، وامضي !
تستقرين في الصدى : كلمات ...
كلمات .. توارثا ... ورياحين ، مع
الكأس ، والقبور !
ومع الشهوة الصريعة.. والاعراس !!
وحشية انت ...
زرع بدائي ملوث مهجور .
تستقرين في الصدى ، وفراغ الدهر
نوما ملفقـا
في شميم العرار ، في غزوات القبائل
والذراعان تعصران المخدات ...
« فمن فارس يجيء وحيدا .
مشرعا رمحه ، ويغتصب الكلمات...
من فارس .. قديم ، جديد ..
يتحنى ، بين الخيام وبين الشعب..
من شعلة اختلاط السوائل ؟ »
آه .. تبكي الاساطير يـا سمـرات
الحي ! ..
من كان يضحك في الليل غريبا
.. على غدير بعيد ؟؟
وانا احفظ الفواصل في جرحي ...
تقول الرمال عن هجرة الخوف
شيئـا .
ثم انساك في ضفاف الاحاديث ! ..
سراب هواك !..
اطلال شوق !!..
والكتابات رعشة أتملاها ،
وانسلّ في الظلام الطويل
فاعذريني ، فأنت صوتي البدائي ..
وانت اشتهائي المروع المقتول .

* * *

لم تكوني صبية ، انت ، يوما
وانا لم اكن غير « عابر » !
وانشطار يعلق النسغ في أرضين :
أرض من الهم
وارض مطلوبة دون جدوى
والعبادات : كالسرادق ! تلتم علـى
قتب ناقة
ثم تمضي
نجمة كنت في بداوة ليل الشوق ..
مرسومة على دروب القوافل
فمتى يحمل انتظارك عينين ...
وزنـدا لهذا الهـوى الـذي لا
يقاتل ؟؟

* * *

لم تكوني صبية أنت يوما .
وانا عابر يحنّيك بالكلمات ..
حتى يواريك فيها .
قاطعا غربة التحول ، مرتدا الى اول
الربوع البعيدة !
كلمات عن الاسى ...
كلمات عن الغضب ..
كلمات عن الهوى ...
كلمات مطوية ... كلمات !!!
... نقش ثور
يشك قرنيه في جرحي عميقا ..
وفارس يتلوى
بين نهديك في اختلاط السوائل
فمتى يحمل انتظارك عينين ...
وزندا لهذا الهوى الذي لا يقاتل

دمشق